المحاضرة الثامنة

عقبات وصعوبات علم الاجتماع التطبيقي

انواع عقبات وصعوبات التطبيقي

يواجه الحقل التطبيقي معوقات وعقبات ومصاعب عديدة ومتنوعة عند تطبيقه منهج ا أو برنامج اجتماعيا في ميدان الواقع، وذلك بسبب تعامله مع شبكة اجتماعية منسوجة من خيوط متنوعة الأعراق ومحبوكة بضوابط اجتماعية ترجع إلى:

- أجيال وعقول مختلفة في مداركها
- وثقافة متباينة في مستوياتها
- وخبرات اجتماعية غير متساوية في نضجها
- ذو انتماءات معتقداتية غير متوازنة في قوتها
- ومصالح متأرجحة بين الذاتية والعامة

جميع هذه الأطياف الاجتماعية لا تلتقي بهدف واحد ومصلحة واحدة، ويتطلب من الباحث الاجتماعي أن ينجح في عمله.
لكن على الرغم من هذا النسيج الاجتماعي المتشابك، فإن الباحث
يستطيع تحقيق مراده البحثي وذلك عن طريق:
الالتزام بالموضوعية العلمية والحياد الأخلاقي أو عدم تحيزه لأي جهة
معينة أو نفوذ محدد أو صاحب قرار متنفذ.

معوقات مؤسسية (بيروقراطية ومالية)

- البحوث الاجتماعية التطبيقية المكفولة ماليا من الدولة أو الجامعة تكون مقيدة بشروط مالية وإدارية
- المعاهد البحثية اما ان تكون هدفها ربحي مالي، أو مستقلة بعملها عن الجامعات ولا تهدف الربح
- تخضع أقسام البحوث الاجتماعية التطبيقية المرتبطة بتنظيمات حكومية أو تجارية لضغوط متنوعة يصعب الإفلات منها
- تخص خلفية علماء الاجتماع العاملين في مراكز البحوث الاجتماعية التطبيقية(هل هم أكاديميون أم مجرد موظفين)

أهم المشكلات التي يعاني منها علم الاجتماع التطبيقي

- ـ التمويل
- علاقة عالم الاجتماع مع الجهة التي تمول بحوثه، أو تكليفه بتنفيذ مشروع معين
- طبيعة الأهداف التي يسعى البحث الاجتماعي التطبيقي لتحقيقها
- صياغة المشكلات وكيفية تنفيذها
- وجود فجوة بين لغة ومفاهيم وتصورات الجهة الممولة ولغة ومفاهيم وتصورات الباحث العلمي.
- ترجمة المشكلة العلمية إلى قضية علمية

١ـ مشكلة تمويل البحث الاجتماعي التطبيقي

لا يمكن أن يقوم مشروع بحث تطبيقي في علم الاجتماع إلا على أساس تمويل من جهة ما .والاستثناء الوحيد لذلك أن يقوم عالم الاجتماع بمساعدة زملائه وتلاميذه وربما أسرته بعمل التجربة وتصميمها وتنفيذها بنفسه.
الباحث يحتاج إلى تمويل مشروعه(:نفقات الطباعة والتنقل والإعاشة مثلا في حال بحوث الماجستير والدكتوراه.)

٢- لقطاع الخاص كممول للبحث الاجتماعي

الجهة الممولة لمشروعات الاجتماع التطبيقي قد تكون
- هيئة حكومية
- مؤسسة قطاع خاص: شركة بناء كبرى مكلفة ببناء مساكن لمحدودي الدخل -مساكن للمسنين- إصلاحية للأحداث..

هناك قطاع خاص يهتم ببحوث التسويق والدعاية ودراسات السوق.
يوجد داخل بعض الشركات الغربية إدارات بحوث متخصصة للتسويق.
ودراسة الأساليب الملائمة للدعاية والتعرف على رغبات واحتياجات المستهلكين.
بعض الشركات الأمريكية مثلا تعتمد على حملة الدكتوراه أو الحاصلين على درجة البكالوريوس والمتمرسين بإجراء البحوث الميدانية في علم الاجتماع.
بعض الشركات تجري بحوثا لصالح شركات أخرى بل تقترح على بعض الشركات إجراء بحوث معينة، بمعنى أنها تجري عملية تسويق لبحوثها بين الشركات.
بعض الشركات الغربية تنفذ مشروعات تنموية في بلاد العالم الثالث بتشغيل فرق متخصصة في علم الاجتماع(وكالة التنمية الدولية مثلا.)
بعض اتفاقيات المعونة الثنائية التي تقدم بموجبها إحدى الدول الصناعية الفنية معونة فنية أو اقتصادية لإحدى الدول النامية تنص أحيانا على:
- تنفيذ بعض الدراسات الأولية للتعرف على حجم المشكلة توزيعها أو انتشارها
- نوع الأساليب والأشكال الملائمة لتنفيذ المساعدة.
- وهذه جميعا تتضمن فريق بحثي متخصص.
- بعض الاتفاقيات تقتصر أصلا على تقديم معونة نقدية أو عينية لإجراء البحوث.

٣- التمويل الحكومي للبحث الاجتماعي

قد تكون الجهة الممولة هيئة حكومية، سواء على المستوى المركزي أو المحلي.
وهذه هي القاعدة الأغلب في كثير من الدول المستقلة حديثا، أو التي يوجد فيها قطاع عام قوي يقود الاقتصاد كله.
بدأت حكومات الدول الغربية مؤخرا(في الستينيات) أوربا وأمريكا بتمويل مشروعات البحوث الاجتماعية(الفقر- العنصرية -المشكلات الصحية.)
كما بدأت الحكومات العربية تهتم ببرامج تأهيل وتعليم أو إعادة تعليم الشباب العاطل عن العمل.

٤- الهيئات العامة وتمويل البحث الاجتماعي

قد تكون الجهة الممولة للبحث الاجتماعي التطبيقي:

هيئة عامة:

وهي ليست حكومية خاصة ولا جهة حكومية مثل :النقابات العمالية أو المهنية(نقابة الأطباء،المحامين،المهندسين)، أو الأحزاب السياسية أو الهيئات السياسية عموما، أو الجمعيات الخيرية

مؤسسات تمويل لخدمات عامة علمية أو اجتماعية

تنشأ من أموال الهبات والتبرعات وترتبط باسم شخصية معينة تخلد ذكراه، وتسعى من خلال تنفيذ مشروعاتها إلى خدمة السياسة التي يدعو لها(مثل مؤسسة الأمير سلطان.) في أمريكا مثلا مؤسسة فورد، رسل، فولبرايت، في ألمانيا فريدرش إبرت، هانز زايدل.

٥- مشكلات تحديد موضوع البحث واهدافة

مثال عن هذه المشكلات:

- مضمون المشكلة المطروحة للبحث
- توقيت الاستعانة بالباحث الاجتماعي(منذ البدء في التفكير بالمشروع -مرحلة متقدمة- بالنهاية لتقييم النتائج.)
- طريقة صياغة المشكلة

٦- أثر البحث على العلم وعلى المشتغلين به

٧- البحث الاجتماعي كمهنة:

بعض الحاصلين على درجات الماجستير والدكتوراه يتجهوا للعمل في ميدان بحوث التسويق وبحوث الاتصال وفي ميدان الدعاية والإعلان.
بدأت في الجامعات تكوين مراكز وحدات للبحوث تتلقى تكليفات من هيئات عامة وخاصة لإجراء بحوث حول موضوعات معينة مقابل تمويل مغري.
كما نشهد قيام بعض المراكز البحثية الخاصة التي يعمل بها متخصصين في بعض المراكز الحكومية(مشافي جامعية - وزارة)أحيانا بعقود مؤقتة.

٨- اخلاقيات البحث الاجتماعي

-خدمة مصالح الجهات الممولة
-خدمة العلم والمعرفة العلمية
-تحمل ضغوط الظروف الخاصة والعامة أثناء أداء عملهم
-خدمة الصالح الاجتماعي العام

٩- مشكلات ترجمة لغة البحث الى لغة الحياة اليومية

مشكلة تتعلق بالفجوة بين لغة الجهة الممولة وطريقتها في التفكير(أي لغة الواقع)ولغة المتخصص في علم الاجتماع وطريقته في التفكير الاجتماعي العلمي(أي لغة النظرية والبحث.)
لابد أن تترجم قضايا المجتمع ومشكلاته إلى لغة العلم الاجتماعي، قبل أن يدرسها عالم الاجتماع.
يتحتم أيضا ترجمة نتائج البحث السوسيولوجي قبل استخلاص النصائح أو الإرشادات أو البرامج العملية(التوصيات والمقترحات) وتقديمها للجهة الممولة.

أمثلة:

- من الذي يؤثر
- بأي وسيلة يستطيع التأثير
- أي تأثير يمكن تحقيقه
- على من يمكن التأثير.....

تم الاستفادة من مثل هذه التساؤلات في ميدان الدعاية والإعلان ، وكذلك في ميدان التأثير على السلوك السياسي والاجتماعي للمواطنين.
لابد من الإشارة إلى أن هناك أشخاص" مؤثرين("قادة الرأي) ليسوا على طبيعة واحدة ومستوى واحد من التأثير .
فالشخص الذي أتأثر به مثلا في الانجذاب لموضة معينة يختلف عن الشخص الذي أتأثر به في الإيمان بفكرة معينة.
هذا يعني أنه لابد قبل البدء بأي تجربة أو مشروع في ميدان معين أن نتعرف على قادة الرأي الذين يستطيعون التأثير على من حولهم في هذا الشأن أو في مجال محدد.
الأمر يتطلب من الباحث الممارس خبرة وذكاء وخيالا واسع للتواصل مع الجمهور المعني بالمشروع.

وسهولة أو صعوبة التعرف على قادة الرأي في كل ميدان يتوقف على طبيعة الموضوع نفسه، ولا توجد له قاعدة عامة. الأمثلة في هذا الصدد كثيرة ، تبدأ من الموضة مرورا بشركات الأدوية في تسويق منتجاتها إلى المجالات الأخرى.
بالنهاية نشير إلى أن علم الاجتماع التطبيقي يتطلب من المشتغل به كفاءات ومهارات خاصة، قد تكون غير أساسية ولازمة لمن يعمل في مجال التدريس أو البحث العلمي.
لكن من الصعب الكشف عنها إلا في الميدان الفعلي لها، فلا وصفة موحدة وثابتة لإخراج متخصص في الاجتماع التطبيقي مضمون النجاح.

الاحتياجات الملحة

عندما انتقل علم الاجتماع من مجاله النظري في الجامعات إلى المجال التطبيقي في الواقع المجتمعي، ظهرت الحاجة لمتطلبات مالية ضرورية تلبي حاجات البحث التطبيقي:

- إجراء المقابلات
- الاستبيانات
- الأجهزة الحاسوبية
- مختبرات ولوازم إحصائية ومعلوماتية

بناء على طلب منظمة اليونسكو، قدم لازرسفيلد دراسة عن احتياج البحوث التطبيقية في الكليات والجامعات الأمريكية، وخلص إلى المقترحات التالية:

- الحاجة إلى أساتذة لهم دراية بالأجهزة التقنية لإقامة البحوث
- تأسيس مراكز ومعاهد تطبيقية بحثية تواكب احتياجات المجتمع المحلي اجتماعيا
- وجود مجموعات متعددة حكومية أو أهلية تغذي الباحثين بأحدث المعلومات عن المشكلات القائمة في المجتمع، أي تكون مصدرا للمعلومات
- إن مساهمة ومشاركة الجامعة في إقامة بحوث تطبيقية له إيجابياته وله سلبياته.
- فالسلبيات تكمن في الاجراءات البيروقراطية الروتينية التي تحتاج لموافقات من الجامعة
- أما الإيجابيات فتنطوي على أنا المالكة الحق للخبرة ومنهجية البحث العلمي.
- لذا تستطيع الجامعة تعزيز دورها في البحوث من خلال فتح دورات لكل من يريد التدرب على إجراء بحث تطبيقي -ميداني.

معوق صراعي

وهو صراع يتمثل بين علماء الاجتماع ال كاديميين وعلماء الاجتماع التطبيقيين حول اس تخدام النظرية الاجتماعية في البحث الاجتماعي الميداني، أي الجمع بين النظري والتطبيقي في التحليل والتفسير للدراسة التطبيقية. ويؤكد كلارك وأ خرون تطبيقيين على أهمية ا إ لطار النظري للبحث التطبيقي في معالجة المشكلات الاجتماعية.

معوق اتصالاتي

هذا المعوق يوضح تعثر وتقطع التصالت المرادة بين عناصر البحث التطبيقي. أي هناك تصدع في العلاقة بين صناع الس ياسة الاجتماعية بالباحثين وعلماء العلوم الاجتماعية أثناء تطبيق إ اجراءات البحث .الاتجاه الجديد في البحوث التطبيقية يؤكد على تفاعل ثلاثة أطراف(مسؤولين -باحثين -ممول)، وهذا أبعد الجانب النقدي عن ساحة البحث الاجتماعي.

الاطراف المتفاعلة و أركان في البحث التطبيقي

- الممول
- البحث التطبيقي
- الباحث الاجتماعي - صناع السياسة والقرار

مشروع نموذجي للتوليف

- مدراء البرامج
- الباحثون الفعليون في البحث (المرشدين)
- الأكاديميون(علماء الاجتماع والنفس والإنسان والاقتصاد والسياسة والإعلام)
- المستشارون

المبرمجون Programmers

هم المتمرسون والمتخصصون في موضوع المشكلة المدروسة والمهتمون بشكل كبير بأ وضاعها وحالتها وجوانبها وجوهرها .مدير البرنامج هو قائد الفريق ومهمته الربط بين أهداف البرنامج وا إ لمكانية المالية المرصودة إ لنجاز البحث . ويس تعين المدير بملاحظات وتوجيهات الباحثين الميدانيين المتخصصين.

المستشارون المتخصصون Professional Consultants

مهمة المستشارين المختصين تقديم تفسيرات وشروحات للقاعدة المعرفية والنظرية المعتمدة في البحث الى مدير البرنامج من أجل
استخدامها في اتخاذ القرارات.

الباحثون Researchers

هم من يقوم بترجمة أهداف البرنامج الى نواتج محددة تمثل متغيرات قابلة للقياس والاختبار وتقدم معلومات محددة.
والباحثون هم أكثر دراية من غيرهم بمعرفة المتغيرات

المنظرون الاكاديميون Academic theorists

هو الفريق المختص بالتوليف بين النظرية والتطبيق، رغم أنه ل يحمل كامل المسئولية في فشل أداء البحث